

## صُورَةُ الْمَدِينَةِ وَتَجَلِّيَاتُهَا فِي شِعْرِ بُشْرَى الْبُسْتَانِي

نسيم مصطفى بني عودة

كلية الآداب قسم اللغة العربية جامعة الخليل فلسطين

[nasimb@hebron.edu](mailto:nasimb@hebron.edu)

تاريخ نشر البحث: 2021/8/5

تاريخ قبول النشر: 2021/6/20

تاريخ استلام البحث: 2021/5/23

## المستخلص

لقد حظي الشعر العربي عبر العصور باهتمام الدراسات النقدية والبلاغية واللغوية- السطحية والعميقة- لمكوناته، من خلال سبتر أغواره وطبقاته النصية، تحليلاً فنياً إبداعياً، يخضعه لآليات نقدية وفكرية، تجعل منه إشكالية نقدية تنير تساؤلات كثيرة عن مغزاه وميناه، فهذه الدراسة تتناول صورة المدينة وتجلياتها (العراقية والعربية والتاريخية) بكل أبعادها - الفكرية والسياسية والاجتماعية - وفاعليتها وحركيتها في نصوص الشاعرة العراقية بشرى البستاني، ولرصد هذه الفاعلية في فضائها الشعري، ولأسيما أن العراق قد مرّ بثورات وحروب كثيرة، غيرت وجه المدينة وما حل بها من خراب ودمار؛ لذلك انعكست صورتها على نفسية شعراء العراق، من بينهم بشرى البستاني، ووجدناهم عبر جدليات لغوية فنية وجمالية؛ لذلك تهدف الدراسة للكشف عن جماليات تشكل المدينة وتجلياتها في الخطاب الشعري، وتوقفت الدراسة عند ثلاثة محاور رئيسية، هي:

المحور الأول: المدينة العراقية، المحور الثاني: المدينة العربية، المحور الثالث: المدينة التاريخية.

الكلمات الدالة: الشعر الحديث، المدينة، الفاعلية، الحركة، التجليات، الانسجام، بشرى البستاني.

## Image of the City and its Manifestations in Bushra Al-Bustani's Poetry

Nassim Mustafa Bani Odeh

Faculty of Arts, Department of Arabic Language, Hebron University\ Palestine

## Abstract

Throughout the ages, Arabic poetry has received the attention of critical, rhetorical and linguistic studies - superficial and deep - for its components. This was manifested through probing its depths and layers of text in creative artistic analysis that subjects it to critical and intellectual mechanisms that make it a critical problem that raises many questions about its meaning and structure. This study deals with the image of the city and its manifestations (Iraqi, Arab and historical) in all its dimensions -intellectual, political and social- its effectiveness and dynamism in the texts of the Iraqi poet Bushra al-Bustani. It also aims at monitoring this activity in its poetic space, especially since Iraq has gone through many riches and wars, which have changed the face of the city along with the devastation and destruction that befell on it. Therefore, its image was reflected on the psyche and sentiment of Iraqi poets, such as Bushra al-Bustani through artistic and aesthetic linguistic arguments. Therefore, the study aims at revealing the aesthetics of the city's formation and its manifestations in poetic discourse. *The study has dealt with three aspects:*

**The first aspect:** the Iraqi city

**The second aspect:** the Arab city

**The third aspect:** the historical city.

**Keywords:** Modern Poetry: the City, Effectiveness, Kinetic, Manifestations, Harmony, Bushra Al Bustani.

## مَقْدَمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي الأمي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، أما بعد؛

فلقد حظي الشعر العربي عبر مرّ العصور بالاهتمام بالدراسات النقدية والبلاغية واللغوية والأسلوبية- السطحية والعميقة - بمكوناته اللغوية، من خلال سبر أغواره وطبقاته النصية، تحليلًا فنيًا إبداعيًا قائمًا على آليات وأدوات نقدية وفكرية، تجعل منه إشكالية نقدية تُثير تساؤلات كثيرة عن مغزاه ومبناه وأسلوبه، دفع النقاد إلى قراءته.

ويتكوّن العمل الأدبي ويخلق في ظلّ تفاعل الأديب مع محصلاته الفكرية والثقافية والشعرية والاجتماعية والسياسية التي تخلق الاندماج مع المجتمع الذي يعيش فيه سواءً بانسجامه أو تنافره معه، فالشاعر يُعبّر عن طموحاته وآلامه وآماله (فردًا وجماعة فهو لسان حال الأمة)؛ فالأديب يخلق فضاءً شعريًا خاصًا به، على حد تعبير سارتر "إن مهمة الشعر تتمثل بخلق أسطورة الإنسان". [1، ص48].

وتهدف هذه الدراسة للوقوف على صورة المدينة وتجلياتها (العراقية والعربية والتاريخية) بكل أبعادها - الفكرية والسياسية والاجتماعية-فاعليتها وحركيتها في نصوص الشاعر العراقية بشرى البستاني، ولرصد هذه الفاعلية وتجلياتها في فضاءها الشعري، ولا سيما أن العراق مرّ - عبر تاريخه - بتورات وحروب كثيرة، غيرت وجه المدينة وما حلّ بها من خراب ودمار؛ لذلك انعكست صورتها على نفسية شعراء العراق (السياب، والبياتي، والحيدري وغيرهم) والشاعرة بشرى البستاني، عبر جدليات لغوية وفنية، ف رؤية الأديب وتعامله مع المدينة هو الذي يُظهر الفاعلية الحركية، ولا يمكن أن تتشكل المدينة إلا من خلال تشكّل المكان "فعملية تشكيل المكان تالية ومنبثقة عن الموقف الفكري والوجداني للفنان" [2، ص63]، تجاه المدينة بوصفها فضاءً مفتوحاً "فشعرية المدينة هي امتداد لشعرية المكان، هذا المكان الذي يشكله الخيال وبينه في اللغة على نحو يتجاوز حدود الواقع الفعلي، وليس المكان الفني أبعاداً هندسية وحسية خارجية؛ إنما صورة جمالية تُدعِها الذات وتضفي عليها من ذاكرتها الحضارية - التاريخية أبعاداً لا نهائية" [3، ص5].

تشير معجمات اللغة العربية إلى أن معنى مدّن، مدّن بالمكان، أقام به، وفلان مدّن المدائن: كما يُقال مصرّ الأمصار، والمدينة: الحصن يُبنى في أصطمة الأرض، وكل أرض يُبنى بها حصن في أصطمتها فهي مدينة، والنسبة إليها مدّيني، ومدّن المدائن تمدّنياً، أي مصرّها، والجمع مدائن ومدن [4، مادة مدّن، 5، مادة مدّن]. إذا هي المكان الذي قام فيه العمران الثابت، الذي يعكس وجه الحضارة والرقي، عكس الرّيف والبادية، اللذان يمتازان بالتّقل والحركة، وأقل من المدينة جمالاً وإبداعاً وتنظيماً.

أما في الاصطلاح، فقد أجمع الدارسون على تعريفها: بأنّها تجمع سكاني كبير - مقارنة بالريف - تميّز بحضارته الرّاقية وعمرانه المميّز، وتوفّر الخدمات كافّة فيها، وتُمسك بزمام المبادئ الاقتصادية والسياسية والثقافية وتضبطها، فهي من سمات العصر والتّحضّر [6، ص134، 7، ص34، 8، ص28]، فالمدينة هي العلامة

التي تدلُّ على التَّقدُّم الحضاريِّ أو الأيديولوجيِّ، وهي الوعاء الذي يستغلُّه الشعراء؛ لتصوير حالة التمزُّق والضِّياع والتفرُّق، ويجعله إطاراً لفلسفته ورؤياه اتجاهاً [9، ص129].

وتعدُّ المدينة من القضايا الشعرية التي كثرت في الشعر العربي المعاصر؛ لأنَّ الشاعر الحديث نظر إليها بوصفها تحملُ ثنائيات ضديَّة، تنيرُ فيه (القلق، والخوف، والأمن، والاضطراب، والحيرة، والتردد، والشر، والخير...)، فهي موطنٌ لاختلال العلاقات الإنسانية فيها ومعها؛ فروية بشرى البستاني المدينة ينبثق من حركة القيم المستمرة، وأنماط الحياة المتغيرة التي شدتها المدن العراقية، وانعكست على نفسيَّتها، فهي تشكل عمقاً لحركة الوجود الداخلي لها، ولم تقف موقف عداء تجاه مدينتها، بعدما تقلبت الأحوال والظروف على العراق، فهي تتحسّر وتتوجع وتتألم على ما أصابها، فهي في حالة رثاء للمدينة من جانب، وافتخار وتمجيد لها، ولما سيمّا أن العراق من علم الإنسانية الحرف، وهو منبع الإشعاع الحضاري والعلمي.

ويكثرُ في شعرِ بشرى البستاني دالُّ المدينة بأنواعها المختلفة؛ لذلك تقومُ هذه الدراسة على ثلاثة محاور رئيسية، وهي:

المحور الأول: المدينة العراقية.

المحور الثاني: المدينة العربية.

المحور الثالث: المدينة التاريخية.

وتعدُّ المدينة في الشعر العربي الحديث رمزاً للحضارة المتقدمة التي فُقدت في الرِّيف؛ لذلك لم ينظر إليها الشاعر العربي نظرة عداء مطلق؛ وإنما شكّلت رؤية نفسية، لكلِّ شاعرٍ عبر الألفة والعداء [10، ص359 وما بعدها]، وإذا كانت المدينة تمثل صورة الحضارة المتطورة والمتغيرة على وفق الزَّمن، فإنَّ الشاعر الحديث "يحدّد المدينة التي يتحدث عنها باسمها - غالباً - فهي بغداد أو بيروت أو دمشق أو القاهرة، ولا يتحدث عن المدينة بإطلاقٍ إلا نادراً" [9، ص114]، فبشرى البستاني تذكر المدينة، المدن بأسمائها وصفاتها وأحداثها.

### المحور الأول: المدينة العراقية

وتظهر المدينة في شعرِ بشرى البستاني بدرجات متفاوتة، فهي (بغداد، والبصرة، والموصل، وبابل، و...)، إذ تشكّل ظاهرة فنية تستحق الدراسة والوقوف عندها؛ لاستجلاء مضامينها ودلالاتها في السياق الشعري، وتحليلاتها وحركيتها التي تعبّر عن وجدان الشاعر اتجاهاً.

وتشكّل مدينة بغداد عند الشاعرة منارة التاريخ والحضارة عبر العصور، فهي دالٌّ يتكرّر في شعرها - (ثلاثين مرة) - توحى بالأمن والأمان، حينما يستريح الزَّمان على ترابها، فهي الحضارة التي علّمت الإنسانية الكتابة، هي الماضي والحاضر والمستقبل، هي جدلية المكان والزَّمان، تتجلّى في أبهى صورها التاريخية والحضارية:

وبغداد شامة كلِّ العصور  
على كتفها ريش الحضارات مُربكة

وَبَغْدَادُ دِفَاءُ الْعُصُورِ يُدْتَرِّهَا  
وَعَلَى جِيدِهَا يَسْتَرِيحُ الزَّمَانُ قَلَانِدَ تَمَرٍ  
وَأَسُورَةُ الْأَرْجُونَ عَلَى سَاعِدَيْهَا  
قَلَمًا خَطَّطَ الْكَوْنُ فِي بَدْنِهِ [11، ص 135-136].  
فَهِيَ صُورَةٌ مُشْرِقَةٌ لِلْمَدِينَةِ وَحَالَةٌ مِنَ الْأَلْفَةِ تَشْعُ فِي أَعْمَاقِ الشَّاعِرَةِ (شَامَةً، رِيَاشَ الْحَضَارَاتِ، دِفَاءُ  
الْعُصُورِ، الْأَرْجُونَ، قَلَمًا...)، فَهِيَ عَصِيَّةٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ، صَخْرَةٌ تُقَاوِمُ وَجْهَ الرِّيحِ، أَمَامَ تَنَارِ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ، فَهِيَ  
تَخْلُقُ جَدَلِيَّةً زَمَانِيَّةً بَيْنَ الْحَاضِرِ وَالْمَاضِي، وَمَا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ (أَكْتُبُ) عَبْرَ الْإِسْقَاطِ الدَّلَالِيِّ:

وَأَكْتُبُ فَوْقَ صُخُورِ الْعِرَاقِ

أُحِبُّكَ

وَأَكْتُبُ لِمَا أَشْتَرِي غَيْرَ هَذَا الْعَذَابِ

وَسَفَرًا يُقَاوِمُ. [11، ص 137]

تُوحي الدَّوَالُ الشَّعْرِيَّةُ بِمَدَى أَلْفَةِ الشَّاعِرَةِ وَانْسِجَامِهَا مَعَ مَدِينَتِهَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ (هَذَا الْعَذَابِ) الَّذِي حَلَّ  
بِالْمَدِينَةِ، وَلَا تَقْرُ مِنْهَا، مَعَ ذَلِكَ يَأْتِي الْجَوَابُ سَرِيعًا (أُحِبُّكَ)، فَإِنَّ تَجَرِبَةَ الشَّاعِرَةِ مَعَ بَغْدَادِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي سَنَوَاتِ  
دِرَاسَتِهَا فِي جَامِعَةِ بَغْدَادِ، حِينَمَا تَنْتَفِسُ عِبْقَ تَارِيخِ مَدِينَةِ بَغْدَادِ، جَعَلَهَا تَتَحَسَّرُ عَلَى مَاضِيهَا، فَهَذَا الْحَشْدُ مِنْ  
الْأَلْفَافِ الْوِجْدَانِيَّةِ (قَلْبِي، حُبِّي، الْحُبِّ، حَبِيبَةِ قَلْبِي، شَوْقِ، قَلْبِكَ، أُحِبُّكَ...) [1، ص 133-137] تُمَدُّ النَّصَّ بِطَاقَاتِ  
إِيحَائِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ مِنْ أَجْلِ تَكثِيفِ اللَّحْظَةِ الْإِنْفَعَالِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ، فَبَغْدَادُ تَسْتَفِرُّ الطَّاقَاتِ الْفَنِّيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ عِنْدَ الشَّاعِرَةِ  
بِوصْفِهَا دِفَاءُ الْعُصُورِ [12، ص 54].

وَلَمْ تَقِفْ بُشْرَى الْبُسْتَانِي مَوْقِفَ عَذَاءِ تُجَاهَ مَدِينَتِهَا / بَغْدَادِ الْعِرَاقِ، بَعْدَمَا عَاثَ فِيهَا الطَّامِعُونَ دَمَارًا  
وَحَرَابًا...، لَكِنَّهَا تَنْظُرُ إِلَيْهَا نَظْرَةً تَحَسَّرُ وَتَوَجُّعٌ وَتَأَلَّمٌ عَلَى مَا أَصَابَهَا، فَهِيَ فِي حَالَةٍ رَثَاءٍ لِلْمَدِينَةِ، وَتَرَى أَنَّ غَدَ  
الْمَدِينَةِ يَنْبَغُ مِمَّا تَرَاهُ فِيهَا مِنْ خَرَابٍ وَدَمَارٍ، بِاسْتِشْرَافِ الْمُسْتَقْبَلِ لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ، سَتَخْرُجُ كَالْعَتَقَاءِ، فَتَنْصِفُ أَعْدَاءَ  
الْعِرَاقِ الْمَكْبَلِ بِالنَّعَالِبِ الَّذِينَ حَرَمُوهُ الْمَاءَ وَالْدَوَاءَ وَالْهَوَاءَ، وَأَصِفَةً إِيَّاهُمْ بِالنَّعَالِبِ مَكْرًا وَدَهَاءً، لَكِنَّ الشَّاعِرَةَ  
يَحْدُوها الْأَمَلُ بِعَوْدَةِ الْعِرَاقِ وَنَهْضَتِهِ:

الْخَامُ مَمْنُوعٌ بِأَمْرِ مِنْ نَوَاطِيرِ الْحَضَارَةِ.

مِنْ ثَعْلِبِهَا

سَتَنْهَضُ دَوْحَةُ الْبُسْتَانِ

تَذْهَبُ لِلْجَنَانِ بِلَا كَفَرٍ

لَكِنَّ فَجْرَكَ أَقْلُ

وَالرِّيحُ تَحْصِبُ بِاللَّهْيَبِ زَمَانَكَ الْآتِي

سَتَنْطَفِئِينَ أَمْرِيكَ

سَتَنْطَفِئِينَ. [11، ص 284]

فصورة المدينة طغت عليها الصورة السوداوية، وتوحي الدوال الشعرية بأن نهضة المدينة ستعود قريباً، ومما زاد في هذه السوداوية دلال (نواظير الحضارة، ثعلبها)، ففي هذا الاستحضار تتجلى صورة (كافور المتنبّي في مصر) [13، ص 102/2]، وتكرار ما في هذا الزمان ولا سيما الداخلي، فضلاً عن تكرار حرف السين الذي يؤكد عودة المدينة؛ لذلك 'فأهميّة المدينة لم تكن نابعة من كونها إطاراً مكانياً لما يحيش به المجتمع من حركة وتشكل مستمرّ للقيم وأنماط الحياة، بل باعتبارها عمقاً لهذه الحركة وهذا التشكل' [14، ص 163] على اعتبار أن المدينة هي مكان تلقي فيه وتتشكل كل المتناقضات، ما بين الثورة والقمع، فهي تمثل المركز السياسي:

سَعَفُ بَغْدَادٍ يُظِلُّ الْفُلُوتَ  
وَجْهَ بَغْدَادٍ وَحِيداً يَذْرَعُ الدَّرْبَ  
وَجْهَ بَغْدَادٍ يُسْرِعُ الْحُزْنَ،  
وَبَغْدَادُ عَلَى الشَّطِّ تَصِيرُ اثْنَيْنِ  
بَغْدَادُ تَصِيرُ الرَّبَّوَةَ الْمُشْرِعَةَ الرَّايَاتِ  
فَوْقَ الْبَحْرِ  
بَغْدَادُ مَنَارَةٌ

وَأَنَا أَهْجُرُ بَغْدَادَ عَلَى جَنْحِ بَشَارَةٍ. [11، ص 528-529]

إن الأحداث التي حلت ببغداد - والمدينة العراقية على نحو عام -، أضقت سوداوية على المكان، فحديث البُستائي عن المدينة يتمثل في تجسيد حالة الوصال الذي تلاشى، فغابت ملامح هذه المدينة عن ناظرها (وجه بغداد يشرع الحزن)، وتحاول أن تستعيد في الحلم؛ لتعبر عنها بألفاظ توحي بمدى حالة الضيق (وأنا أهجر بغداد) والخوف على المدينة، (بغداد على الشط تصير اثنتين).

وحينما تُصيح البصرة رمزاً للعزة والكبرياء والفداء والتضحية والجمال، والوجود، تطل علينا بـ (أيا خمرية الوجنات يا بصرة)، وتكرار العبارة الشعرية - ولا سيما في خاتمة القصيدة بوصفها قفلاً دلالياً تؤكد فكرة جمال المدينة وصمودها:

صَامِدَةٌ وَحَقَّ النَّخْلُ وَالْوَعْدُ  
وَحَقَّ أَبِي الْخَصِيبِ وَهَيْبَةُ الْجُنْدِ  
وَحَقَّ هَوَاكَ أَكُنْتُمْ مِنْهُ أضعاف  
الذي أبدي.....

لَا أُعْطِي الْعِرَاقَ بَجَنَةَ الْخُلْدِ...  
أَيَا خَمْرِيَّةَ الْوَجَنَاتِ يَا بَصْرَةَ  
يَا عَرَبِيَّةَ اللَّفَّتَاتِ وَالْغَمَزَاتِ.

[11، ص 471-472]

تتعانق الدوال الشعرية عبر شبكة العلاقات اللغوية؛ لتشكل فضاءً شعرياً يوحي بدلالات شتى، ولما سيما البُعْدَان: الوطني والقومي، (البصرة، العراق، وأبي الخصيب، والنخل...)، فضلاً عن البُعد الحضاري والتراثي

(بَا عَرَبِيَّةَ اللَّفَاتَاتِ)، فَهِيَ عَرَبِيَّةُ الْوُجُودِ، فَتَكَرَّرُ دَالٌ (الْبَصْرَةُ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَاقْتَرَانُهَا مَعَ أَبِي الْخَصِيبِ يُوحِي بِأَهَمِّيَّةِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَرَفَعَتِهَا وَوُجُودَهَا فِي ذَاتِ الشَّاعِرَةِ، وَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ عَنَوَانَ الْقَصِيدَةِ (الْبَصْرَةُ)، وَمَا يُشْكِلُهُ الْعَنَوَانُ مِنْ فَاعِلِيَّةٍ دَلَالِيَّةٍ فِي الْمَرْجِعِيَّاتِ اللُّغَوِيَّةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْعَنَوَانَ هُوَ رِسَالَةٌ لُغَوِيَّةٌ مُسَنَّنَةٌ بِشَفْرَةٍ لُغَوِيَّةٍ، يُفَكِّكُهَا الْمُسْتَقْبَلُ وَيُؤَوِّلُهَا، وَهُوَ يُكْتَفَى الدَّلَالَاتِ [15، ص 96-101]. فَالْبَصْرَةُ تَحْفَرُ أَخْذُودًا فِي وَجْدَانِنَا عَلَى حَدِّ قَوْلِ بِأَشْلَارِ [16، ص 52]، فَهِيَ تَسْكُنُ فِينَا؛ لِذَلِكَ اتَّسَعَتْ رُؤْيَا الشَّاعِرَةِ لِلْمَدِينَةِ؛ لِتَرْبِطَهَا مَعَ مَدِينَةٍ أُخْرَى:

وَرَجَالُكَ الْآتِينَ يَنْتَشِلُونَ

وَجْهَ الْقُدْسِ،

مِنْ غَيْرِ الْعِرَاقِ يَضُمُّ وَجْهَ الْقُدْسِ. [11، ص 472]

تَسْتَحْضِرُ الشَّاعِرَةُ أَلْفَاظًا شِعْرِيَّةً، لَتُعَبِّرَ عَنْ وَجْدَانِهَا؛ فَحَرَكِيَّةُ الْأَلْفَاظِ تُوحِي بِمَدَى ارْتِبَاطِهَا وَتَوْحِيدِهَا مَعَ الْمَدِينَةِ، فَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ كَمَا يَقُولُ الْجَرَجَانِيُّ، "فَالْأَلْفَاظُ لَا تَرَادُ لِذَاتِهَا، وَإِنَّمَا لِتَجْعَلَ أَدْلَةً عَلَى الْمَعْنَى" [17، ص 456]، أُعْطِيتِ النَّصَّ حَالَةً شِعْرِيَّةً، مِنْ الْاعْتِرَازِ بِالْبَصْرَةِ، فَتَعَانُقُ الْأَلْفَاظِ وَتَدَاخُلُهَا فِي شَبَكَةِ الْعَلَاقَاتِ النَّصِّيَّةِ وَالتَّرَكِيبِيَّةِ يُوحِي بِالْحَالَةِ الْوُجْدَانِيَّةِ تَجَاهَ الْمَدِينَةِ، فَضْلاً عَنْ رِبْطِهَا بِالْقُدْسِ، وَإِضْفَاءِ مَلَامِحِ الْقَدَاسَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُنَا نَكْمُنُ مَزِيَّةَ الْأَلْفَاظِ بِـ" الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ الَّتِي هِيَ أَوْضَاعُ اللَّغَةِ لَمْ تَوْضَعْ لِتَعْرِفَ مَعَانِيَهَا فِي أَنْفُسِهَا، وَلَكِنْ لِأَنَّ يَضُمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيَعْرِفُ فِيمَا بَيْنَهَا مِنْ فَوَائِدِ" [17، ص 539]، وَنَكْمُنُ فِي هَذِهِ الدَّوَالِ الشَّعْرِيَّةِ تَجَلِّيَّاتِ الْإِبْدَاعِ الشَّعْرِيِّ عِنْدَ الْبُسْتَانِيِّ فِي الرِّبْطِ بَيْنَ الْمُتَبَاعِدَاتِ، وَفِي صِيَاغَةِ الْعَالَمِ الشَّعْرِيِّ، وَبِنَاءِ مَدِينَةٍ فَاضِلَةٍ وَفَقِ رُؤْيَيْهَا، بِأَبْعَادٍ هَنْدَسِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ (أَبُو الْخَصِيبِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَشَطَّ الْعَرَبِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَالسِّيَابِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ...).

وَفِي قَصِيدَةِ (أَقْبَلُ كَفَّ الْعِرَاقِ)، تَتَشَابَهُ الْمُدُنُ الْعِرَاقِيَّةُ وَتَتَدَاخَلُ، مِنْ شِمَالِهِ إِلَى جَنُوبِهِ، وَتَدُوبُ فِي لَفْظِ الْعِرَاقِ، عِبْرَ تَقْنِيَةِ التَّشْخِيسِ:

لَأَنَّ الَّذِينَ احْتَوَى قَلْبُهُمْ بِأَسْقَاتِ الْعِرَاقِ

فَرَوْوَا صَدَاهُ دَمًا

ثُمَّ غَابُوا

يَجِيئُونَ كُلَّ مَسَاءٍ لِسِرْحَةِ قَلْبِي

يُدْنِرُهُمْ دِفْءٌ حَبِّي... [11، ص 455]

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الْجَرَاحَاتِ وَالْأَلَمِ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا الْعِرَاقُ، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَةَ تَعُدُّ هَذَا الْمَكَانَ (الْعِرَاقَ) الْأَمَلَ وَالْوُجُودَ وَالْحَيَاةَ الَّتِي تَتَعَمَّقُ فِيهِ بِالْأَمَانِ وَالنَّفْعِ عَلَى تَرَابِهِ، وَهِيَ تَشْتَرِكُ فِي هَذِهِ الرُّوْيَةِ مَعَ السِّيَابِ حِينَمَا عَدَّ أَنَّ الظَّلَامَ جَمِيلٌ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَضِنُ الْعِرَاقَ، فَضْلاً عَمَّا تَوَدِّيهِ الدَّوَالِ الشَّعْرِيَّةُ (أَقْبَلُ، أُسْرَحُ، أَضْمُ) مِنْ فَاعِلِيَّةٍ وَحَرَكِيَّةٍ:

أَقْبَلُ كَفَّ الْعِرَاقِ

أُسْرَحُ شَعَرَ الْعِرَاقِ

أَضْمُ هَوَاهُ بِقَلْبِي، وَأُشْعِلُ نَارِي [11، ص 457]

فَجَمَعَتِ الشَّاعِرَةُ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ (الحزن والألم - مقابل الفرح والسرور)، فِي انْسِجَامٍ تَامٍ مَعَ الْعِرَاقِ، وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ إِيقَاعٍ صَوْتِيٍّ خَفِيفٍ فِي اسْتِمْرَارِيَّةِ الْحَدَثِ فِي الْأَفْعَالِ الْمُضَارِعَةِ (أَقْبِلُ الْآنَ وَغَدًا، وَأَسْرَحُ الْآنَ وَغَدًا، مَا دُمْتُ حَيًّا) وَتَأْتِي الْإِجَابَةُ مُبَاشِرَةً وَسَرِيعَةً؛ لِبَيَانِ حَالَةِ التَّوَحُّدِ مَعَ الْمَدِينَةِ (لَأَنْكَ أَنْتَ الْعِرَاقُ). وَحِينَ يُصْبِحُ الْعِرَاقُ وَطَنًا ضَائِعًا تَضِيقُ الْعِبَارَةُ وَتَتَكَمَّشُ الْأَبْعَادُ الْهَنْدَسِيَّةُ لِهَذَا الْمَكَانِ الْمُمتَدِّ إِلَى حَيَّرِ ضَيِّقٍ، يَعْكِسُ الْحَالَةَ الْوِجْدَانِيَّةَ لِلشَّاعِرَةِ (فردًا وجماعة)، كَمَا فِي قَوْلِهَا:

خَذِي الْعِرَاقَ بَيْنَ ذِرَاعَيْكَ

كَيْ يَغْفُوَ أَطْفَالُهُ الْجَائِعُونَ

وَأَمْسَحِي عَنْ وَجْهِهِ غُبَارَ الْحَرَاقِ

كَيْ يَتَوَاصَلَ الْهَدِيلُ. [11ص، 34]

فَالْحَالَةُ الشُّعُورِيَّةُ هِيَ جَذْوَةُ الْعَمَلِ الشُّعْرِيِّ، فَالنَّصُّ الْمُكْتَمِلُ شِعْرِيًّا هُوَ الَّذِي يَمْتَلِكُ شَاعِرِيَّةً إِبْدَاعِيَّةً عَالِيَةً فِي الْأَدَاءِ اللَّغَوِيِّ، وَالرَّبْطُ الْمُحْكَمُ بَيْنَ الْأَلْفَافِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْعَلَائِقِ الْخَارِجِيَّةِ رِبْطًا مَنْطِقِيًّا، وَتَمَاسُكًا فَنِيًّا [18، ص 63]، إِنَّ لُغَةَ الشَّاعِرَةِ الْفَنِيَّةَ تَعْمَلُ عَلَى التَّقَاطُفِ الْمَرْتَبَاتِ وَالْمَحْسُوسَاتِ، وَإِعَادَةِ صَهْرِهَا فِي بَوْتَقَةِ النَّصِّ فِي قَوْلِهَا فَنِيَّةً جَدِيدَةً، مُتَجَاوِزَةً الْوَصْفَ الْخَارِجِيَّ لِلْمَدِينَةِ لِلدُّخُولِ فِي أَعْمَاقِهَا، وَبَيَانِ حَالَةِ الْمَدِينَةِ الْعِرَاقِيَّةِ وَمَا تَعَانِيهِ، فَتَحْضُرُ الْمُدُنَ الْعِرَاقِيَّةَ الْأُخْرَى، لِتُشَكِّلَ فضاءَ الْمَدِينَةِ الْعَامِّ، مِثْلُ: (الكوفة، والموصل، وذي قار، وبابل... غيرها) [11ص، 246، 129، 290، 111، 369، 370]، وَنَظَرًا لِمَحْدُودِيَّةِ الدِّرَاسَةِ نَشِيرُ إِلَيْهَا - فَقَطْ - بِحُضُورِهَا فِي نُصُوصٍ بَشَرِيٍّ الْبُسْتَانِيِّ.

### المحور الثاني: المدينة العربية:

وَتُشَكِّلُ الْمَدِينَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِمْتِنَادَ الْحَضَارِيَّ وَالْوُجُودِيَّ وَالْقَوْمِيَّ لِلْمَدِينَةِ الْعِرَاقِيَّةِ، وَلَا تَخْتَلِفُ إِلَّا فِي الرُّوْيَةِ إِلَيْهَا، فَحُضُورُهَا فِي شِعْرِ الْبُسْتَانِيِّ يُمَثِّلُ حَالَةَ التَّوَحُّدِ وَالْإِنْدِمَاجِ مَعَ النَّصْفِ الْآخِرِ، وَبِمَا تُشَكِّلُهُ فِي الذَّاكِرَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَأَبْعَادٍ فِكْرِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ، وَبِمَا تَحْمِلُهُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مِنْ عِلَامَاتٍ خَاصَّةٍ، تُثِيرُ عَوَاطِفَ الشَّاعِرَةِ وَأَنْفِعَالَاتِهَا.

وَهَذَا التَّوْظِيفُ لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَمْنَحُهَا صِفَةَ التَّجَدُّدِ وَالتَّوَاصُلِ الْحَيِّ وَالْفَاعِلِ فِي الْجَسَدِ الْعَرَبِيِّ، وَعَبْرَ شَبَكَةِ الْعَلَاqَاتِ اللَّغَوِيَّةِ وَالتَّرَكِيبِيَّةِ الَّتِي تَمْنَحُ النَّصَّ صِفَةَ الْأَدَبِيَّةِ؛ لِذَلِكَ لَا نَسْعَى لِمَعْرِفَةِ الْأَبْعَادِ الْهَنْدَسِيَّةِ لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي شِعْرِ الْبُسْتَانِيِّ، بِالْقَدْرِ الَّذِي نَسْبُرُ فِيهِ أَغْوَارَ النَّصِّ مِنْ أَجْلِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِيَّةِ الْمَدِينَةِ وَصُورَتِهَا وَانْسِجَامِهَا فِي الْخُطَابِ الشُّعْرِيِّ، وَمَعْرِفَةِ الْقِيَمِ الدَّلَالِيَّةِ وَالْفَنِيَّةِ الَّتِي تَتَرَكُّهَا فِي النَّصِّ.

تَتَوَسَّعُ دَائِرَةُ النَّظَرِ لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعِرَاقِيَّةِ، حِينَمَا تَأْخُذُ شَكْلَ الْخَرِيْطَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مَا بَيْنَ (شَطِّ الْعَرَبِ وَالْمُحِيطِ)، رُؤْيَةً شِعْرِيَّةً لِفَاعِلِيَّةِ الْمَكَانِ/ الْمَدِينَةِ، فِي انْتِمَائِهَا لِهَذِهِ الْأَرْضِ، وَتَرَى الشَّاعِرَةُ أَنَّ الْأَرْضَ الْعَرَبِيَّةَ تَجْمَعُهَا اللَّغَةُ وَالذِّينُ وَالتَّارِيخُ وَالْعَادَاتُ، وَأَنَّ (النَّيْلَ الَّذِي يَسْكُنُ قَلْبَ الْأَرْضِ) هُوَ يَمْدُ شَرَايِينَهُ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَيَجَلِّي الْبُعْدَ الْقَوْمِيَّ فِي رُؤْيَتِهَا لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ، كَمَا فِي قَوْلِهَا:



يَطْلُعُ وَجْهَكَ يَفْتَحُ كَهْفَ الْجَنَّةِ،  
وَيَطْلُعُ وَجْهَ الْفِدَائِيِّ يَفْتَحُ بَابَ دِمَشْقَ  
يُفَجِّرُ سُورًا تَطَاوَلَ مَا بَيْنَ رَفْضِي  
وَحَنْظَلَةَ قَاتِلَةَ  
وَيَطْلُعُ بَيْنَ الْجَلِيلِ وَعَكَا...  
سَيُزْهِرُ مَا بَيْنَ عَمَّانَ وَالنَّاصِرَةِ.

[11، ص 560-561]

تَعْدُ قَصِيدَةُ (الْبُأْوَابِ) مِنْ أُبْرَزِ الْقَصَائِدِ الشَّعْرِيَّةِ عِنْدَ الْبُسْتَانِيِّ فِي اسْتِحْضَارِ الْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ، إِذْ تُوظَّفُ (دِمَشْقُ، وَالْجَلِيلُ، وَعَكَا، وَالْإِسْكَنْدَرُونَةُ، وَحِيفَا، وَعَمَّانَ، وَالنَّاصِرَةُ، وَالْعِرَاقُ، وَمَكَّةُ، وَالْقُدْسُ، وَبَغْدَادُ، وَسِينَاءُ، وَالشَّامُ)، فِي رُؤْيَا تَوْحِيدِ الْمَدُنِ الْعَرَبِيَّةِ وَامْتِدَادِهَا، حِينَمَا يَطْلُعُ الْفِدَائِيُّ مِنْ قَلْبِ دِمَشْقَ، فَتَرْتَفِعُ نَبْرَةُ الْخُطَابِ بِالِافْتِخَارِ وَالْعِزَّازِ بِدِمَشْقَ، وَهِيَ تُعَانِقُ الْعِرَاقَ وَفِلَسْطِينَ، وَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ زَمَنَ كِتَابَةِ الْقَصِيدَةِ بَيْنَ عَامِي (1977 - 1983)، أَيْ زَمَنَ الْمَدِّ الثَّوْرِيِّ وَالْقَوْمِيِّ، إِذْ جَمَعَتْ مَا بَيْنَ الْاجْتِيَاكِ الصُّهْبُونِيِّ لْجَنُوبِ لُبْنَانَ، وَمَا بَيْنَ الْغُدُونِ الْإِيرَانِيِّ عَلَى الْعِرَاقِ (1980 - 1988)، فَيَطْلُعُ عَلَيْنَا قَلْبُ النَّيْلِ:

أَيُّهَا النَّيْلُ الَّذِي يَسْكُنُ قَلْبَ الْأَرْضِ  
خُذْ شَطَّ الْعَرَبِ  
وَأَمْزِجِ الْخُمْرَةَ نَارًا إِنِّي أَشْرَبُ، / أَشْرَبُ  
أَيُّهَا اللَّيْلُ الَّذِي يَحْضُنُ بَيْرُوتَ  
وَعَابَاتِ حَلَبَ...

هَآكِ بَغْدَادُ عَلَى الْغُوطَةِ تَنْتَالُ عَنَاقِيدُ ذَهَبٍ...

[11، ص 558]

خَبِرُ الشَّطِّ عَنِ الْوَرْدِ الَّذِي يُشْعِلُ صَحْرَاءَ النَّقَبِ.

إِنَّ مَا تَتَعَرَّضُ لَهُ الْمَدِينَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَاحِدٌ، أَيْنَمَا كَانَتْ (هَآكِ بَغْدَادُ عَلَى الْغُوطَةِ)، فَرُؤْيَا الشَّاعِرَةِ لِلنَّيْلِ وَبَيْرُوتَ وَالْعِرَاقَ وَفِلَسْطِينَ، يَنْبُعُ مِمَّا حَلَّ بِهَا، وَافْتِرَانُ دَالِ (اللَّيْلِ) الَّذِي يَلْفُ بَيْرُوتَ هُوَ ذَاتُهُ الَّذِي يَلْفُ الْعِرَاقَ (شَطَّ الْعَرَبِ، بَغْدَادُ) وَهُوَ فِي فِلَسْطِينَ (صَحْرَاءُ النَّقَبِ)، وَهَذَا التَّفَاعُلُ بَيْنَ مَجْمُوعَةِ الدَّوَالِ (اللَّيْلِ، وَيَشْعِلُ وَتَكَرَّرَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاغْتِيَالُ، وَاصْرَخْ، وَيَطْفِئُ) يُوحِي بِرُؤْيَا مُتَشَابِكَةٍ لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ عِوَضَ ثَنَائِيَّاتِهَا، الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ، الْهَدْمِ وَالْبِنَاءِ... وَالشَّاعِرَةُ تَأْمَلُ فِي أَنْ يَتَحَرَّكَ النَّيْلُ " فَالْمَدِينَةُ عُمُقُ الْحَرَكَةِ وَالتَّشَكُّلِ، وَبَاعَتْ لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ وَمُحَصَّلَتُهَا فِي الْوَقْتِ نَفْسُهَا " [19، ص 63]، إِذَا كَانَتْ الْمَدِينَةُ مَكَانَ الثَّوَرَاتِ وَالْإِنْقِلَابَاتِ وَالتَّغْيِيرَاتِ، فَهِيَ الْبُوصْلَةُ الَّتِي تَتَّجِهْ إِلَيْهَا أَفْنَدَةُ الْمَظْلُومِينَ وَالْمَحْرُومِينَ، فَالْمَدُنُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ الَّتِي تُوْظَفُهَا الشَّاعِرَةُ تَحْضُرُ بِوَصْفِهَا مَكَانًا يَتَوَقَّعُ الْحُرِّيَّةَ:

فِي بَغْدَادِ وَفِي غَزَّةَ  
طِفْلٌ يَحْمِلُ قِنْدِيلًا



وَأَنَا وَاجِلَاهُ

أَحْمِلُ لَيْلًا مُنْذُ سِنِينَ. [11، ص 234]

وَتَظْهَرُ غَزَّةٌ بِوَصْفِهَا صُورَةً مُعَادِلَةً لِبَغْدَادَ، وَمَا تُعَانِيهِ، إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ غَوَّانَ الْفَصِيدَةِ (فَوَاصِلُ فِي ظِلِّ التَّحْرِيرِ الْأَمْرِيكِيِّ) يَدُلُّ عَلَى أَثَرِ الْعُدُوِّ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَيْفَ تَرَكَهَا (طِفْلٌ يَحْمِلُ قَنْدِيلًا)، طِفْلُ الْقُرْنِ الْعَشْرِينَ، وَالْمَدِينَةُ الْحَضَارِيَّةُ، وَإِنْ كَانَ دَالُ الْقَنْدِيلِ يُوحِي بِالْأَمَلِ وَالْإِسْتِمْرَارِ، إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَةَ أَنْزَلَتْ بِالْمَعْنَى، وَهَذِهِ الدَّوَالُ تُثِيرُ فِي الْمُتَلَقِّي حَالَةً مِنَ الضَّبِقِ وَالضَّجَرِ وَالنَّفُورِ مِنَ الْمَدِينَةِ، بِفَعْلٍ هَذَا الْعُدُوِّ عَلَى الْمَدِينَةِ (غَزَّةً)، وَتَشَارِكُهَا بِغَدَادَ الَّتِي تَحْمِلُ الْآلَمَ مُنْذُ سِنِينَ، الْبُؤَابَةُ الشَّرْقِيَّةُ الَّتِي صَمَدَتْ أَمَامَ الزَّمَنِ، إِذَا مَدِينَتَانِ تُعَانِيَانِ، وَحِينَمَا يُشِيرُ دَالُ (التَّحْرِيرِ) إِلَى مُغَايِرَةِ اللَّفْظِ لِمَا وَضَعَ لَهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ النَّصِّيَّ بِإِخْرَاجِ الْمَدِينَةِ إِلَى النُّورِ فِي ظِلِّ الْحَضَارَةِ الْجَدِيدَةِ "فَحْدِيثُ الْحَضَارَةِ" حِينَ يَنْتَقِلُ إِلَى الْمُسْتَوَى الْفَنِّيِّ، يَتَخَلَّقُ فِي طِرَازٍ مِنَ الْجَدَلِيَّةِ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالْحَيَاةِ، وَبِالْتَّالِي تَتَوَلَّدُ هَذِهِ الْجَدَلِيَّةُ: ثَنَائِيَّةُ الذَّاتِ/ الْمَوْضُوعِ، وَهِيَ إِحْدَى مَفْرَدَاتِ لُغَةِ التَّضَادِّ الَّتِي هِيَ مَظْهَرٌ لِلنَّشِطَارِ الشَّاعِرِ فِي عَالَمِ الْمَدِينَةِ" [19، ص 96]، فَهَذِهِ الْمَدِينَةُ الْحَدِيثَةُ قَلْبَتْ وَجْهَ مَدِينَةِ غَزَّةَ وَبَغْدَادَ.

وَحِينَمَا تُصْبِحُ بَيْرُوتُ مُحَطَّةً لِلْغُرْبَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْوُجْدَانِيَّةِ، تَمُدُّ الشَّاعِرَةَ خِيُوطَ الْأَمَلِ؛ لِتُشَارِكَ الْمُدْنَ الْأُخْرَى مُصَابِهَا، فَتُشَكِّلُ بَيْرُوتُ مُعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا لِجُرْحِ الْعِرَاقِ وَفِلَسْطِينَ، وَامْتِدَادًا حَقِيقِيًّا لِرُؤْيَا شِعْرِيَّةٍ مُفَعِّمَةٍ بِالْحَرَكَةِ تُجَاهَ بَيْرُوتَ، وَاتِّجَاهَ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ:

مِنْ جَحِيمِ الْمُحِيطِ لِنَارِ الْخَلِيجِ  
وَمِنْ قُبَّةِ الْقُدْسِ حَتَّى قُبُورِ أُمِّيَّةٍ  
بَيْرُوتُ تَنْشُرُ وَجْهِي عَلَى حَافَةِ الْجُرْفِ  
تَنْشُرُ مَوَالِ حُبِّي عَلَى كَتِفِ دَبَابَةِ غَازِيَةٍ  
وَبَيْرُوتُ تَسْتَلِبُ الْبَحْرَ زُرْقَتَهُ

وَتَنَامُ عَلَى الشَّطِّ مَذْبُوحَةً عَارِيَةً. [11، ص 476-477]

فَرُؤْيَا الشَّاعِرَةِ لِبَيْرُوتَ تَنْقَسِمُ بَيْنَ رُؤْيَى مُتَعَدِّدَةٍ، الْأُولَى، صُورَةُ بَيْرُوتِ السَّحْرِ وَالْجَمَالِ، وَالنَّعْمِ، حِينَمَا تُعَانِقُ الْبَحْرَ بِزُرْقَتِهِ، لَكِنَّ الْأَنْزِيَاخَ اللَّغَوِيَّ يَبْدُو جَلِيًّا فِي حَرَكَةِ الْأَفَاطِهَا (الْحُزْنِ، وَالدَّبَابَةِ، وَعَارِيَةٍ) تُوحِي بِالصَّفَةِ الْأُخْرَى لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ الَّتِي حَلَّ فِيهَا الدَّمَارُ، الدَّبَابَةُ، وَمَا تَفَعَّلَهُ لِتَتْرَكَ بَيْرُوتَ عَارِيَةً؛ لِذَلِكَ جَاءَتْ "الْمَدِينَةُ فِي اللُّغَةِ مُؤَنَّتَةً، وَفِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ كَانَتْ حَرَكَةُ التَّارِيخِ ضِدَّ الْمُدْنِ فَتَحًا وَاجْتِنَابًا لَهَا وَلِنِسَائِهَا وَلِمَوَارِدِهَا" [9، ص 91]، فَهِيَ مَدِينَةٌ تَتَنَّمُ مِنَ الْوَجَعِ وَالْآلَمِ الْمَرِّ، فَأَيْنَمَا نَظَرْتُ بَيْرُوتَ وَجَدْتُ جَحِيمًا فِي الْمُحِيطِ، وَنَارًا فِي الْخَلِيجِ، وَإِذَا اتَّسَعَتْ الرُّؤْيَا وَجَدْتُ قُبَّةَ الْقُدْسِ تُشَاطِرُهَا، وَقُبُورَ أُمِّيَّةٍ تَصْرُخُ، فَهِيَ غُرْبَةٌ فِكْرِيَّةٌ دَاخِلَةٌ إِطَارَ الْمَدِينَةِ، تُوَاخِهُ الْوَاقِعُ السَّيِّئُ بِشَيْءٍ مِنَ الصُّمُودِ وَمُحَاوَلَةِ التَّغْيِيرِ (تَنْشُرُ مَوَالِ حُبِّي)، فَالْحُزْنُ وَالتَّمَرُّقُ وَالتَّشَرُّدُ الْعَرَبِيُّ هِيَ أَبْرَزُ مَظَاهِرِ غُرْبَةِ الْمَدِينَةِ وَاعْتِرَابِهَا.

وَكَذَلِكَ تُشَاطِرُ (عَا وَحِيَا) بَيْرُوتَ آلَمَهَا، فَهِيَ مُدْنُ الْجَمَالِ وَالسَّحْرِ، وَالرُّوعَةِ، وَهِيَ تُعَانِقُ الْبَحْرَ، وَمُدْنٌ صَمَدَتْ أَمَامَ غَزَاةِ الْبَحْرِ:

أَبْوَابُ حَيْفًا مَذْ خَرَجْنَا  
ظَلَّتْ مُفْتَحَةً لِأَسْرَابِ النَّمِيمَةِ  
سَفَرُ الْجَرِيمَةِ أَيْنَعَتْ أَغْصَانُهُ  
وَعَنَّاكِبُ الدَّيْجُورِ

تَحْجُبُ فِي الرَّبِيِّ وَرَدَ الصَّبَاحُ. [11، ص 329]

تَتَحَسَّرُ الشَّاعِرَةُ عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ/فِلَسْطِينِ، الَّتِي دُمِّرَتْ وَطُرِدَ أَهْلُهَا، وَشُرِدُوا فِي الْمَنَافِي - غَابَ أَهْلُهَا -  
حَتَّى طَالَ غِيَابُهُمْ (سَفَرُ الْجَرِيمَةِ أَيْنَعَتْ أَغْصَانُهُ)؛ دَلَالَةً عَلَى طُولِ الْفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ، مُوَظَّفَةً صُورَةَ حَيْفًا الَّتِي تَنْتَظِرُ  
أَهْلَهَا، بِدَلَالَةِ الْأَبْوَابِ الْمَفْتُوحَةِ، لَكِنَّ الْعَنَّاكِبَ الَّتِي حَلَّتْ فِي الْمَدِينَةِ، غَيَّرَتْ وَجْهَ الْمَدِينَةِ " فَتُصْبِحُ الْمَدِينَةُ مِرَاةً أَوْ  
رَمْزًا لِلْأَوْضَاعِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تَعُمُّ الدَّوْلَةَ كُلَّهَا " [20، ص 348]، فَإِنَّ مَا يُعَانِيهِ الْإِنْسَانُ فِي الْمَدِينَةِ هُوَ إِسْقَاطُ حَقِيقَتِي  
لِمَا تُعَانِيهِ الْمَدِينَةُ ذَاتُهَا " وَلَيْسَ الْمَدِينَةُ إِلَّا شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ الْوُجُودِ... وَتُصْبِحُ الْمَدِينَةُ كَالنَّاسِ تُعَانِي مَرَارَتَهُمْ،  
وَتَتَلَقَّى مَا يَتَلَقَّوْنَ " [7، ص 121] فَالشَّاعِرَةُ تَبْحَثُ عَنِ الْمَدِينَةِ الْمَفْقُودَةِ الَّتِي فَقَدَتْ مَلَامِحَهَا الْأَصْلِيَّةَ، عَبْرَ فِعْلِ الْآخِرِ،  
هَذَا الْبَحْثُ عَبْرَ الْأَحْلَامِ وَالرُّؤَى فِي مُسْتَقْبَلِيَّةِ الْمَدِينَةِ، وَعَبْرَ فِعْلِ التَّحَوُّلِ:

دَبَابَاتُ الْغَزْوِ تَدُورُ

اللَّيْلَةَ أَكْتُبُ حُرْنِي

وَأُبْصِرُ صَخْرَ الْقُدْسِ

يَبْدَحُ حُرْجُ فَوْقَ مَازِنِ بَغْدَادَ

يَصِلَانِ .../بَغْدَادَ بَعْكَاءَ. [11، ص 131-132]

إِذْ تَرْتَبِطُ الشَّاعِرَةُ الْوَجَعَ الْعِرَاقِيَّ بِالْوَجَعِ الْعَرَبِيِّ (فِلَسْطِينِ، الْقُدْسِ) وَهِيَ تَحَاوِلُ أَنْ تَبْحَثَ عَنِ الْوَجَعِ  
الْحَقِيقِيِّ لَهَا؛ لِأَنَّ مَلَامِحَهَا اخْتَفَتْ (أُبْصِرُ)، وَفِعْلُ الْإِبْصَارِ دَلَالَةٌ عَلَى تَغْيِيرِ صُورَةِ الْمَدِينَةِ وَبَعْدَهَا عَنِ ذَاتِ الشَّاعِرَةِ،  
كَذَلِكَ الْإِبْصَارُ فِيهِ عَدَمُ دَقَّةٍ، لَكِنْ أَرَى تَظْهَرُ الْمَلَامِحُ جَلِيَّةً؛ لِأَنَّ دَبَابَاتِ الْغَزْوِ تَدُورُ فِي أَرْجَاءِ الْمَدْنِ الْعَرَبِيَّةِ  
فَيَبْدَحُ صَخْرَ الْقُدْسِ، مِنْ خِلَالِ فِعْلِ الرُّؤْيَا، وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَمَلٍ بِفِعْلِ الصُّورَةِ الضَّبَابِيَّةِ (الْحُرْنِ) الَّتِي تَلْفُ الْمَدْنِ  
(بَغْدَادَ بَعْكَاءَ)، فَضْلاً عَنِ الْمُسْكُوتِ عَنْهُ (...). فِي فِضَاءِ الْقَصِيدَةِ؛ لِذَلِكَ " تَتَاوَلَ الْبُعْدُ السِّيَاسِيُّ فِي قَصِيدَةِ الْمَدِينَةِ،  
يَمْتَلِكُ قُدْرَةً كَبِيرَةً عَلَى عَكْسِ جَانِبٍ مِنْهُمْ مِنَ الْحَيَاةِ فِي الْمَدِينَةِ، حَيْثُ تُصْبِحُ الْقَصِيدَةُ إِمْكَانَاتٍ تَعْبِيرِيَّةً وَحَرَكِيَّةً  
هَائِلَةً، هِيَ أَقْدَرُ مَا تَكُونُ عَلَى عَكْسِ مُنَاحَاتِ الْعَصْرِ وَأَمْرَجَتِهِ " [21، ص 196].

تَعَامَلُ الشَّاعِرَةُ الْحَدِيثُ مَعَ الْمَدِينَةِ يَكْمُنُ فِي مَدَى فَاعِلِيَّةِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَحَرَكَاتِهَا عَلَى الْمُسْتَوَى الْفِكْرِيِّ  
وَالسِّيَاسِيِّ، وَلَيْسَ مِنْ جَانِبِ النُّفُورِ مِنْهَا، أَوْ الْحَقِّقِ عَلَيْهَا، فَتَبْدُو الشَّامُ صُورَةً أُخْرَى لِلْمَدِينَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُسْتَبَاحَةِ،  
فَتَحْتَفِي مَلَامِحُهَا:

بِوَاحَةٍ فِي الشَّامِ أَصْرُخُ بِالنَّخِيلِ

وَأُسْتَظِلُّ الْأَرْزَ

دَبَابَاتُهُمْ فِي اللَّيْلِ تَعْبُرُ رَوْضَةَ الشَّامِ الْمُبَاحِ

لَوْ أَنَّهُمْ فَكَّرُوا قُبُودَ الْقُدْسِ

مَا حَلَّتْ مَلَامَتُهُمْ. [11، ص 433]

هنا تتجاوزُ الشاعرةُ الحدودَ الجغرافيةَ للمدينة الواحدة (الشام)؛ للدخولِ إلى قلبِ المَدُنِ العربيَّةِ، وبما تمثِّلُهُ الشَّامُ في الذاكرةِ العربيَّةِ، حضارةً وتقدُّماً وخلافةً، وبما تمثِّلُهُ من القيمِ الأخلاقيةِ، إلَّا أنَّ (دبَّاباتهم في الليل) غيرتْ وجهَ المعادلةِ؛ لأنَّ دالَّ الليلِ هنا (زمنًا) يدلُّ على المؤامراتِ التي تحاكُّ فيه؛ لذلك ارتفع الصوتُ (أصرخ)؛ لكي توقَّفَ زحفُ الدَّباباتِ على الشَّامِ، فتصرُّخُ بالنخيلِ؛ لكي يفكَّ قيدَ القدسِ، وهنا تتبَّعُ جماليَّاتُ اللغةِ الشعريةِ عندَ البُستانيِّ في توظيفِ الدَّوالِّ الشعريةِ التي تُوحى بإيقاعِ النصِّ وتناسبه مع مضمونه؛ لذلك "إنَّ جمالَ اللغةِ ينبُعُ من نظامِ المفرداتِ وعلاقتهِ ببعضها البعض الآخر، وهو نظامٌ لا يتحكَّمُ في النحْوِ، بل النَّفْعُ والتَّجربةُ" [1، ص 90]، فضلًا عن حرفِ التَّمَنِّي (لو): في تمَنِّي خلاصِ القدسِ من (الدَّباباتِ)، وكذلك بالمَدُنِ العربيَّةِ الأخرى، والنخيلُ = العراق، والرُّز = لبنان، وبقيَّةِ المَدُنِ العربيَّةِ المُستباحةِ.

### المُحَوَّرُ الثَّالثُ: المَدِينَةُ التَّارِيخِيَّةُ

لقد احتلتِ المَدِينَةُ التَّارِيخِيَّةُ أهمِّيةً كبيرةً عندَ الشعراءِ المُحدثين؛ بوصفها تُشكِّلُ بُعدًا تاريخيًا ووجدانيًا لماضٍ عربيٍّ مليءٍ بالأحداثِ (الإيجابية والسلبية)، إذ يلقي الشاعرُ عليها آراءَهُ وفلسفتهُ، فهي تُشكِّلُ وعاءَ وتجربةَ جاهزة، وعلى حدِّ تعبيرِ عليِّ حدَّاد: لا يتعاملُ الشاعرُ الحديثُ مع المَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ بوصفها حقائقَ تاريخيةً/جغرافيةً هندسيةً لذاتها، وإنما يضيفُ عليها ذاته وواقعةً، إذ يتعاملُ معها على وفق قناعاته وما تُشكِّلُهُ في موروثه الفكريِّ، بحيثُ يسقطُ عليها من فلسفتهِ الخاصةِ [22، ص 80]، وهذا المرادُ من تشكُّلِ المَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ في شعرِ بُشْرَى، إذ تحضُرُ بوصفها مُعادلاً موضوعياً وفكرياً للمَدِينَةِ المُعاصرة، وما يقعُ فيها من أحداثٍ تُعدُّ امتداداً لما شعورياً للماضي، وقد تحضُرُ المَدِينَةُ التَّارِيخِيَّةُ بشخصياتِها التي تُشكِّلُ صورةً لشخصياتٍ زمانيةٍ حاضرةٍ معنا، أضفتْ على المَدِينَةِ وجهًا آخرَ "فالمَدِينَةُ وجهها الماديُّ يكشفُ عن روحها وجوهرها، وهو الوجهُ الذي لا يُمكنُ أن يكونَ مَدِينَةً إلَّا به" [11، ص 330]، وكذلك "تكشفُ المَدِينَةُ عن وجهها الحقيقيِّ من خلالِ تجربةِ الشاعرِ معها" [20، ص 342].

وتحضُرُ المَدُنُ التَّارِيخِيَّةُ في شعرِ بُشْرَى بينَ (الأندلس، وغرناطة، وآشور، وسومر، وسمرقند، وبابل، والقدس، والكوفة، وخيبر، والشَّام، وحطين، وسبأ، وينزب، ونجد، ومكة...)؛ بوصفها حركيةً شعوريةً وجدانيةً لتجاربٍ حصلتْ، ورؤيةً الشاعرةِ للمَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ هي من الوعيِّ المتزايدِ بالمكان [23، ص 130]؛ لذلك تُشكِّلُ الأندلسُ وغرناطةُ ثنائيةً جدليةً بما تحمله من دلالاتٍ تاريخيةٍ وحضاريةٍ تربطها الشاعرةُ مع الحاضرِ:

دَبَّابَاتُ الْقَتْلِ تَدُورُ.../بَغْدَادُ

سَمَرْقَنْدُ/ غَرْنَاطَةُ تَنْهَدُ

ثَانِيَةً يُوْغَلُ هُوَلَاكُو فِي قُمْصَانِ الْمَدُنِ التَّعْبَى

ثَانِيَةً يَقْطَعُ هُوَلَاكُو/ شَرِيَانِ الْحَبْرِ الْأَسْوَدَ [11، ص 104]

تتفاعل المدينة التاريخية مع المدينة الحضرية المعاصرة؛ للدلالة على عمق المأساة، التي حلت بالامة، فتحضر بشخصياتها التي أثرت فيها، فيحضر هولاء؛ بوصفة شخصية طاعية، وحاكما جائرا، ومحتلا يفتك بكل شيء، فهو هولاء العصر (دبابات) فقد تعانقت (بغداد) مع (غرناطة) في الدلالة على وجه العدو، وفنكه بالمدينة وبأهلها، فضلا عن (سمرقند) وما حل فيها أيام الفتح الإسلامي لها، فهي (أندلسيات، وسمرقندات العصر)، فتسقط الشاعر دلالاات الماضي على الحاضر عبر جدلية ثنائية، وكأن فعل الدمار والتسلط يتكرر على المدينة باختلاف الزمان، وهولاء العصر الذي يقطع شريان الحياة في بغداد (دبابات القتل) هو نفسه في غرناطة وفي بغداد، وتزداد النبوة الشعرية ارتفاعا حينما تتعانق المدين الحضرية مع المدينة التاريخية في فضاء نصي:

تبكي دجلة في قلب الليل / زفير الثعبان يريق النار/...  
ينزف أندلسا أخرى / وفلسطين / تطلع من عين غزال  
غرناطة تعدو في قمصان الليل / يلاحقها الذئب التتري

تصل البصرة. [11، ص 110-111]

فحضر المدين التاريخية بوصفها المعدل الموضوعي للمدينة العربية المعاصرة، وما حل فيها من الدمار والخراب؛ لأن (التتري) يفتك بها، وتنزف أندلسا أخرى، وشكل دال النكرة (أندلسا) دلالة العموم والشمول على الواقع العربي الراهن، فهي (أندلس = بغداد، أندلس = فلسطين، أندلس = الشام)، فهذا الثعالب اللغوي (دجلة، الثعبان، أنزف، فلسطين، غزال، غرناطة، ذئب، تتري، بصرة)، يفضي إلى سيميائية النص، فتوصي بتشتت ذات الشاعر، وقلقها فضلا عما تتركه في نفس المتلقي من الحيرة والقلق، فبشرى تنحسر على ما حل في مدين العربية، فترجع المدينة عبر الحلم والخيال، وعلى حد تعبير باشلار "إن المكان الذي يجذب نحوه الخيال، لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحير، وخاصة أنه يملك جاذبية في أغلب الأحيان" [16، ص 37]، لذلك تؤدي الدوال الشعرية مجتمعة فاعلية النص وحركيته ودلالاته، فاللغة الشعرية تفضح المسكوت عنه (...) في الفضاء الطباعي، عبر جدلية الدوال، وعلى اعتبار أن الشعر يتكلم عبر دلالاات إيمانية؛ ليكشف ما يتستر التاريخ عليه [24، ص 85] فهذا الثعبان التتري ما زال يفتك بالمدينة، (تبكي دجلة)، واستمرارية الحدث (ينزف) وأثره في بقية المدين:

ترحف ذي قار / بين جذور النخل الممتدة في أوتار الحزن  
بسومر، / حتى قلب النار/...

وخلف الدار / جنائن بابل ظمأى. [11، ص 111]

فتملك الألفاظ المفردة (ذي قار، والنخل، والحزن، وسومر، والدار، وجنائن بابل ظمأى) التي هي "أوضاع اللغة" [17، ص 539]، خاصية دلالية في السياق النصي، تشير إلى حالة القلق والاضطراب، فالشاعرة نجحت في استغلال الطاقات الإيحائية والإيمائية في الدوال الشعرية، فمنحت النص الشعري الأدبية والرمزية الفكرية، التي جعلت من نصها نصا أدبيا، يثير إشكالات نقدية، فمن هنا، فإن المدينة عبر حركيتها الدلالية وأنسجامها مع الدوال الأخرى، منحت الحركة والفاعلية للنص، وهذا ما تحدث عنه الجاحظ في الدلالة على أهمية الصياغة النصية "إنما

الشأن في إقامة الوزن، وتخيير اللفظ....، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، إنما الشعر صناعة، وضرب من النسخ، وجنس من التصوير [25، ص ج 75/3]، فضلاً عن عنوان القصيدة الذي يشكل ثنائية خاصة، أولها: (أندلسيات لجروح العراق 2002 – 2008)، إذ يشكل عنواناً عاماً للديوان، وثانيها: عنواناً للقصيدة الأولى في الديوان، فتكمن أهمية العنوان بعمله الدلالي مفتاحاً عاماً للدخول إلى عمق النص/ النصوص الشعرية، فضلاً عن صفة الجمع (جروح)، وهذا الجمع يوحى بالصورة السوداوية التي طغت على المدينة العراقية والعربية على حد سواء، وتجذ في الأندلس الوطن المفقود، وصورة أخرى على أندلسيات معاصرة مفقودة، أو مضبغة، تنب وتصرخ، كما صرح صاحب الأندلس (أبو عبد الله الصغير وأمه). الوطن الضائع، أو الفردوس الأرضي المفقود، فالأندلس تعد إحدى مكونات البنية اللاشعورية التأوية في العقل العربي، التي يتم استدعاؤها من خلال الوعي بأبعادها وتمثلها [26، ص 10]، فتحضر في نص جديد وبصورة مغايرة، لكن أمل عودة المدينة (المعاصرة) إلى بهائها ورفعها قائم:

من باب الشمس ساطع ثانية لأعود  
نحو تراب ينهض من أودية الحمى

ويلم شطايا الروح. [11، ص 130]

فتستلهم الشاعرة أوجه التشابه بين المدينتين، إلا أن عودة الثانية ممكنة (ساطع ثانية لأعود)، ولما سيم أن العراق هو باب الشمس من ناحيتين: الأولى الجغرافية - البوابة الشرقية، والثانية، منبع الحضارات والعلم، وتحاول أن تلم شطايا الروح المبعثرة هنا وهناك، وكذلك تحضر القدس بوصفها مدينة تاريخية، ودينية، وحضارية، مدينة عصريّة على الأعداء على الرغم مما حل بها عبر التاريخ، إذ ترد القدس (ثمانية عشرة مرة) في شعر البستاني:

شهيد آخر ويصير باب القدس أقرب  
خطوة أخرى،/ كروم الحلم أدنى

إن في عينيك فردوس اليقين/ وقصة توحى ولّا تحكي

وصخرة حبي المآذل في زمن/ وجه السيد المصلوب يبسم من جديد. [11، ص 488]

تتجلى القدس بوصفها المدينة النقية الطاهرة، التي نُسبت طهارتها، ولكنها غيرت وجهها الحقيقي (وصخرة حبي المآذل)، العربي الإسلامي، فتحن الشاعرة إلى عودتها للحضن العربي الإسلامي، مدينة زاهرة، تعطر بدماء الشهداء (شهيد آخر ويصير باب القدس أقرب)، فالنبذة الانفعالية لرفع الهمة، وأملًا في عودتها (أقرب، أدنى) عبر عتبة (الباب) للدخول إلى فضاء المدينة (القدس)، وكذلك تستحضر قرائن دالة (الصخرة) التي صعد عنها الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم -، إلى السماوات العلى؛ للربط بين الأرض والسما، ولتضيء قداسة أكثر عليها، ثم تعرج على قصة الفداء والتضحية (وجه السيد المصلوب يبسم من جديد)، محررة؛ إذا هي المدينة الممكن، وليس المدينة اللا ممكن (الأندلس)، حتى تعود لأصحابها، لذلك شكلت القدس في الشعر العربي الحديث مآثر ذكريات الشعراء، وألهمت عواطفهم الجياشة، على اعتبار أن العرب لا يلتفتون إلى مذهبهم إلا في مرحلة الغياب [27،

ص192]، وَكَانَ الشَّهِيدَ الْآخَرَ، هُوَ حَيَاةُ الْآخَرِينَ، وَحَالَةُ عُبُورِ بَيْنَ مَرَحَلَتَيْنِ، وَهَذَا الشَّهِيدُ يُحَاوِلُ أَنْ يُلِمَّ الْجُرْحَ الْعَرَبِيَّ، فَالْقُدْسُ وَحَدَّثَ فِينَا اللَّأَمَ:

وَأَرَى سِرْبَ الْقَطَا الْمَذْبُوحِ فِي لَيْلِ الْجَزِيرَةِ  
وَعَصَافِيرَ الْهُوَى الْمَجْرُوحِ حَوْلَ الْقُدْسِ  
وَالْجَوْلَانِ وَالذَّلَّتَا الْأَسِيرَةِ  
وَأَنَا أَلْمَحُ قُطْعَانَ الْمَهَا الْمَطْعُونَةَ الْأَحْدَاقِ  
فِي لُبْنَانٍ، مَنْ يَجْنَثُ حَزَنِي؟

مَنْ يَفْكُ إِسَارَ غَزَلَانِ الْعِرَاقِ/ يُلِمُّ أَحْزَانَ الْعِرَاقِ

يَشْتَدُّ جُرْحُ النَّخْلِ فِي قَلْبِ الْعِرَاقِ. [11، ص484-485]

وَهُنَا تَكْمُنُ الصُّورَةُ الْإِبْدَاعِيَّةُ لِلْأَدِيبِ فِي التَّلَاعُبِ بِالْأَلْفَاظِ وَاللُّغَةِ، وَالْإِقْنَاعِ الْفَنِّيِّ بِجِدِّيَّةِ التَّجَرُّبَةِ الشَّعْرِيَّةِ؛ لِذَلِكَ قَدْ تَتَوَلَّدُ الْمَدِينَةُ الْمُوحِشَةُ مِنْ مَدِينَةٍ حَافِلَةٍ فِي الْوَأَقِعِ كَالْقُدْسِ، وَعَلَى عَكْسٍ، قَدْ تَتَوَلَّدُ الْمَدِينَةُ الشَّعْرِيَّةُ الْمُتَلَالِنَةُ بِالْأَضْوَاءِ مِنْ مَدِينَةٍ أُطْفِنَتْ أَضْوَاؤُهَا فِي وَاقِعِ الْحَالِ [23، ص132]، كَالْعِرَاقِ، فَالْقُدْسُ تُمَثِّلُ صُورَةَ الْوَأَقِعِ الْعَرَبِيِّ الْحَافِلِ بِالذِّكْرِيَّاتِ وَالْأَحْدَاثِ، لَكِنَّ الْمَدِينَةَ الْمُتَلَالِنَةَ (الْعِرَاقِ) تَحَوَّلَتْ إِلَى مَدِينَةٍ مُوحِشَةٍ (أَحْزَانَ الْعِرَاقِ، جُرْحُ النَّخْلِ)، إِذْ تَتَجَلَّى الْمَدِينَةُ بِالْقَدَرِ النَّمُوذَجِيِّ الَّذِي يَتَعَامَلُ مَعَهُ الْفَنَّانُ، فِي صِبَاغَةِ فُضَاءٍ مَدِينِيٍّ خَاصٍّ " إِذْ تَتَوَلَّدُ الْحَرَكَةُ مِنَ السُّكُونِ، وَالْإِحْتِجَاجُ مِنَ الصَّمْتِ" [23، ص147]، فَالسُّكُونُ يُمَثِّلُهُ الْفُضَاءُ الْعَرَبِيُّ الصَّامِتُ، وَالْحَرَكَةُ تُمَثِّلُهَا الْقُدْسُ بِمَا فِيهَا، وَتَتَدَاخَلُ الْقُدْسُ مَعَ بَابِلَ فِي عِلَاقَةٍ تَوْحِيدِيَّةٍ:

مِنْ بَابِلَ تَتَصَاعَدُ الْآلُوحُ/ نَحْوُ قِيَامَةِ الْمَوْتِ الْمَجِيدِ

مِنْ بَابِلَ تَرْقَى الْحِجَارَةُ/ نَحْوُ تَاجِ الْأَفْقِ

عَبَرَ سَوَاعِدِ النَّخْلِ الْعَتِيدِ/ مِنْ بَابِلَ بَدَأَ الْخَلِيلُ. [11، ص369]

تَتَحَدَّثُ الشَّاعِرَةُ عَنْ حَضَارَةِ الْعِرَاقِ الْمُتَمَثِّلَةِ بِـ (بَابِلَ، وَسُومَرِ، وَأَشُورِ)، وَكُلُّهَا دَوَالٍ وَرَدَتْ فِي شِعْرِهَا، وَتَرَى أَنَّ عَوْدَةَ الْعِرَاقِ قَادِمَةٌ، فَهِيَ تَسْتَحْضِرُ قِصَّةَ الْآلُوحِ، الَّتِي تَذَلُّ عَلَى تَارِيخِ الْعِرَاقِ، وَكَذَلِكَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ، وَاضْبَعُ عِلْمِ الْعَرُوضِ الْعَرَبِيِّ، فَبَابِلُ مَوْطِنُ الْحَضَارَةِ وَالْمَدِينَةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَالْقَوَانِينِ/ الْآلُوحِ (نَبُوخذ نصر) وَالْأَنْظُمَةِ (عَبَرَ سَوَاعِدِ النَّخْلِ الْعَتِيدِ)، تَتَحَرَّكُ الدَّوَالُ الشَّعْرِيَّةُ فِي انْسِجَامِ عَنَاصِرِهَا وَفَاعِلِيَّتِهَا فِي بَوْتَقَةِ النَّصِّ، نَحْوُ تَأْسِيسِ عِلَاقَةٍ اتِّحَادِيَّةٍ مَعَ الْمَكَانِ بِيَعْدِيٍّ: التَّارِيخِيِّ وَالْمُعَاصِرِ، مِنْ بَابِلَ وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ دَلَالَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ وَأَدَبِيَّةٍ، وَمَا تُبِيرُهُ فِينَا مِنَ الْحُزْنِ عَلَى الْعِرَاقِ فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ، حِينَمَا كَانَتْ بَابِلُ مَكَانًا لِلْعِظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ، إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ الشَّاعِرَةَ قَدْ كَرَّرَتْ لَفْظَ بَابِلَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَضَّلَا عَنْ عُنْوَانِ الْقَصِيدَةِ (قَصِيدَةُ بَابِلَ) [11، ص369]، الَّذِي يُشَكِّلُ مُفْتَاخًا دَلَالِيًّا عَلَى أَهْمِيَّتِهَا وَهِيَ "مُسْتَوْدَعُ الْإِنْجَازَاتِ الْحَضَارِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَالصَّنَاعِيَّةِ وَالتَّكْنُولُوجِيَّةِ" [23، ص132]، وَكَذَلِكَ يُشَكِّلُ دَالُ النَّخْلِ عِلَامَةً دَالَةً عَلَى الْعِرَاقِ، إِذْ تَكَرَّرَ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَهَذَا التَّكَرُّارُ يُوحِي بِالثَّبَاتِ وَالتَّوْحِيدِ مَعَ الْأَرْضِ عَبَرَ الْجُدُورِ، فَالنَّخْلُ يُؤَدِّي ثُنَائِيَّةً دَلَالِيَّةً: الْجَمَالَ وَالثَّبَاتَ.

## الخاتمة

تفاعلت الشاعرة بشري البستاني، واقعيًا حلميًا، مع المدينة، على وفق رؤيتها، وتعاملها معها، وكذلك الظلال الدلالية التي توجي بها المدن في شعرها عبر فاعلية الخطاب الشعري؛ لذلك:

1. أخذت المدينة العراقية، بكل أبعادها الجغرافية والدلالية حيزًا شعريًا كبيرًا، إذ حضرت قرائن دالة على المدينة وأحداثها، شكلت رؤية الشاعرة لها.
2. تعاملت الشاعرة مع المدينة، بوصفها مبعث اعتزاز وافتخار، وليس مبعث نفور أو عدا، فالرؤيا الشعرية كانت مبعث الدلالة في الحكم عليها.
3. احتلت المدينة العربية مساحة واسعة، ومتنوعة في شعرها، فهي تشكل امتدادًا حضاريًا ووجدانيًا للقومية العربية.
4. رؤية الشاعرة للمدينة التاريخية، هي صورة لواقع الحال، فأسقطت الدلالات الحاضرة على الماضي، عبر جدلية ثنائية (الماضي الحاضر، وكذلك العكس)، فتشكلت المدينة التاريخية ماذا آمنًا، وهروبًا من الواقع المسايوي سواء أكانت هذه المدينة دينية أم تاريخية.
5. لم تتناول الشاعرة المدينة بوصفها كيانًا ماديًا فحسب، بل هي نقطة تحول فكري في الرؤيا في بثّ الهموم والأحزان، أحزان عراقية، وأحزان عربية.

#### CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

#### المصادر والمراجع:

- [1] خير بك، كمال. (1986). حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، كمال خير بك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط (2).
- [2] الشيخ، خليل (1995)، باريس في الشعر العربي الحديث، مجلة أبحاث، اليرموك، مجلد 13، العدد 2.
- [3] رماتي، إبراهيم. (1997). المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجًا، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط.
- [4] ابن منظور، جمال الدين. (2003). لسان العرب، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع.
- [5] الزبيدي، محمد. (1888هـ). تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- [6] غيث، محمد. (1982). علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د. ط.
- [7] منصور، منافع. (1975). الإنسان وعالم المدينة في الشعر العربي الحديث، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط (1).
- [8] عوض، السيد. (1997). سكان المدينة بين الزمان والمكان، السيد حنفي عوض، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د. ط.



- [9] عباس، إحسان. (1987). اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط.
- [10] قمحية، مفيد. (1981). الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط (1).
- [11] البستاني، بشري. (2012). الأعمال الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط (1).
- [12] جعفر، عبد الكريم راضي. (1988). رماد الشعر - دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط (1).
- [13] البرقوقي، عبد الرحمن. (2001). شرح ديوان المتنبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (1).
- [14] العلاق، علي جعفر. (1990). في حداثة النص الشعري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط (1).
- [15] حمداوي، جميل. (1997). السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، مجلد 25، العدد 3.
- [16] باشلار، جاستون. (1980). جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، كتاب الأعلام (1)، دار الجاحظ للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، د.ط.
- [17] الجرجاني، عبد القاهر. (1987). دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية ود. فائز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط (2).
- [18] غزوان، عناد. (2001). قلق النص وحرية الإبداع، مجلة آفاق عربية، العدد (7-8).
- [19] أبو غالي، مختار. (1995). المدينة في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة (196)، الكويت، د. ط.
- [20] إسماعيل، عز الدين. (1981). الشعر العربي المعاصر - قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ط 3.
- [21] عقاق، قادة. (2001). دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط.
- [22] حداد، علي. (1986). أثر التراث في الشعر العراقي المعاصر، علي حداد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط (1).
- [23] الربيعي، محمود. (1988). الشاعر والمدينة، عالم الفكر، مجلد 19، العدد 3.
- [24] يوسف، محمد. (1996). أسئلة الشعر - نداء الهوامش وفتنة المتخيل، مجلة بيت الشعر، العدد (1).
- [25] الجاحظ، عمرو. (2015). كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، المكتبة العصرية، بيروت، ط (1).
- [26] عثمان، اعتدال. (1988). إضاءة النص، دار الحداثة، بيروت، ط (1).
- [27] بدوي، محمد. (1988). الشاعر والمدينة في العصر الحديث، عالم الفكر، مجلد 19، العدد 3.